Zu'aytir, Akram

يوميات أكرم زعيتر

الحركة الوطنية الفلسطينية

١٩٣٥ - ١٩٣٩

Yawmīyāt Akram Zu'aytir

الطبعة الاولى

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بيروت ـ ١٩٨٠

الطبعة الثانية

منشورات اليسار م.ض

باقة الغربية ـ جت

١٩٨٨

هاتف ٠٦ـ٣٧٢٦٠٣

نظري داهية دهماء وذكي من الطراز الاول ، واود ان اعترف لك ايضا بأنك بريطاني قح ! تصرف مواهبك وذكاءك لمصلحة الاستعمار البريطاني . وانك افلحت حيث فشل غيرك ، واذا حدثت في عهدك حوادث ، وثارت فتن وشبت ثورات فلا يدل ذلك إلا على انك لم تستطع ان تغير نواميس الكون ، وانه ليس في مقدورك ان تبطل قواعد الاجتماع . ولكنك على كل حال داهية ، وهذه بعض آيات دهائك :

« لقد عينت ابناء الذوات في الوظائف ، واجلست ابناء بعض العائلات على الكراسي فغدوا رهائن لديك ، وارتبطوا بالسلطة ارتباطا ماديا .... وستذكر اياديك البيضاء عليها وشعارها دائما : الحسنة بعشرة امثالها والتحية بأحسن منها .

« .... ومن دهاء جنابك ان الفكرة الصهيونية لم تنفذ إلا في عهدك فنسبة عدد المهاجرين الصهيونيين الى فلسطين في عهدك مدهشة جدا لا تقاس بها في عهد غيرك ، وقل كذلك عن نسبة مساحات الارض المنتقلة ولا يخفى هذا ويذهب بأثره انك انشأت محطة راديو ، ووزعت آلاتها على القرى واعطيت الرواتب للمخاتير وادخلت في روع الفلاح انك صديقه الحميم .

« .... وحسبك انك استطعت ان تجعل الكثيرين من العرب يعتقدون انهم في حاجة الى حماية انكليزية تقيهم عدوان اليهود ، وجعلت الكثيرين من اليهود يعتقدون انهم في حاجة الى حماية انكليزية تقيهم عدوان العرب ....

« .... وكل ما اسلفت هو مقدمة لما سأقول ، فالحديث يدور حول الحوادث الاخيرة وانا اردت ان ابرهن لك على انني اعرفك واقدرك وان كنت لم اتشرف بالاجتماع بك . وكلمتي حول الحوادث الاخيرة اظن انها تختلف عن كلمات الاحزاب ، هذا اذا وجدت الاحزاب متسعا من الوقت خلال انشغالها بموضوع الوفد لتقول كلمتها .... ان الاحزاب القائمة لا تمثل روح الامة الناقمة الساخطة المتألمة .... فالامة شيء وبعض الرؤساء شيء آخر واليك دليلا واحدا يغني عن ألف دليل .

« حين وصلت الينا انباء خطابات وزير المستعمرات الراحل المستر مالكولم ماكدونالد في لندن ، والمآدب الصهيونية التي اقيمت في لندن وكنتَ حاضرا فيها وشاربا لانخابها ، تذكر الناس ان عهد جنابك في فلسطين احفل العهود بالكوارث القومية فدعا بعض الناس الى الاضراب يوم وصولك الى فلسطين وانبرت اربعة احزاب مؤتلفة الى القول باللاضراب وبذل البعض منها جهدا في فتح الحوانيت ولكن الامة قالت اذ ذاك كلمتها ، وكان اضرابها رائعا .... خذ مثلا قضية ارسال وفد الى لندن للبحث في مشروع المجلس التشريعي ، واختلافه لا على الفكرة وانما على الاشخاص ، وكان الاولى بك ان تعين انت اعضاء الوفد .... فالوفد على حاليه لا يخرج عن كونه بعثة حكومة فلسطين الى وزارة المستعمرات .... قلت هذا يا جناب المندوب لئلا تظن ان الامة مستسلمة باستسلام الاحزاب ، وان الامة فقدت كرامتها وحيويتها وعزة نفسها ....

« وأوكد لجنابك ان شخصا كالشيخ عز الدين القسام لا ينتمي الى عائلة كبيرة ولا يمت بصلة الى الزعامات الحكومية ولم يرشح نفسه لكرسي من كراسيها يتمتع برعاية وتقديس واحترام لا يحلم بمثله اكبر زعيم .... وما اود ان اقوله لمناسبة الحوادث الدامية لا يتعدى امرين : اولهما على مَ تدل هذه الحوادث ؟ وثانيهما من هو المسؤول عنها ؟ واود ان اكون صريحا .... فأقول : ان علة الحادث الذي

حدث اخيرا بين عنبتا ونابلس وذيوله هي التذمر واليأس اي العلة التي قذفت بالقسام وصحبه الى الاستشهاد ؛ وكيف لا ييأس العربي ويتذمر حين يرى امته العربية في فلسطين تنقرض بسرعة ويحل محلها شعب اجنبي مغتصب ولم تُجد الصرخات والشكاوى والاحتجاجات والمظاهرات والاجتماعات والمذكرات والوفود والخطابات في دفع الكارثة عنه ، قد تقول يا جناب المندوب وما يدريك ان هذه هي العلة ؟ فاسمع اذن :

« انني انا كاتب هذه السطور شاب عربي يطمع في ان يرى بلاده مستقلة حرة ويرى من واجبه نحو عربيته واسلاميته وانسانيته ان يجاهد في سبيل حريته واستقلاله ؛ اصبحت بعد ان رأيت امعان دولتكم في ارهاق بلادي وتهويدها واسترسالكم في مؤازرة الصهيونية ومظاهرتها .... احس .... انني مهان وان كرامتي جريحة وانا انتمي الى شعب لا تقيمون له وزنا ولا تحترمون له ارادة .

« وقد عرضتم عليه اخيرا بعد تضحيات وثورات وجهود مجلسا اشتراعيا هزيلا كسيحا ابتر ، فاقد الصلاحية ، مسلوب الارادة ، غريب التأليف ، سخيف التركيب ، اشل الاعضاء ، مفلوج البنية ، وقلتم انكم ستقيمونه ولو رفضته احدى الطوائف ، واذعتم هذا على الملأ وقيدتم نفسكم به ، ومع انني انا شخصيا من رافضيه والناقمين منه فقد راقبت الحالة عن كثب فماذا حدث بعد ذلك ؟ حدث بعد ذلك ان اليهود حملوا على المجلس ولم يرضوا عنه ، لا لشيء إلا لانه لا يضمن لهم اكثرية عددية ، ولأن مصالحهم (ماشية) من دون مجلس ! وبين عشية وضحاها اذا بحكومتكم تتراجع واذا بها تخضع لارادة اليهود .... واذا بها تضن على العرب بهذا المجلس التافه الحقير . واذا بكم تستدعون رؤساء الاحزاب وتقولون لهم : ان هذا المجلس الذي اجمعتم على قبوله قد اعترض عليه اليهود بشدة ولذلك زُمّوا حقائبكم والى لندن حيث تبسطون وجهة نظركم في المشروع اي في المشروع الذي قلتم انكم ستنفذونه ولو رفضه العرب .... هذه اهانة لكرامة العرب وصفعة لمثلهم الاعلى في الحرية والاستقلال واذا ارتضاها رؤساء الاحزاب .... فالامة ليست عنها راضية !

« اذن انا بصفتي عربيا أحس .... احس انني مهان لان امتي مهانة ، واحس ان هذه الاهانة لا تغسل عن جبين امتي بالمقالات والخطب والاحتجاجات والاجتماعات ولذلك لم اكتب ولم اخطب منذ اكثر من شهرين ، ولكنني لم انقطع عن التفكير في مصير وطني وفي واجبي نحو امتي .... فلعل التفكير يولد الابتكار ولكن هذا التفكير هو تفكير يائس من إنصاف خصمه مؤمن بافلاس جميع الاساليب الكلامية في استخلاص حقوقه . وهؤلاء الذين دفعهم اليأس من الانصاف الى ركوب المركب الخشن وسلوك السبيل الوعر اذا كانوا قد انفردوا في اسلوبهم وسلكوا سبيل القسام فهم لم ينفردوا في اليأس والتذمر وقد بلغ التذمر حدا جعل الناس في السنة الماضية يعنون بأخبار لص شقي قاطع طرق كأبي جلدة لا يحمل فكرة وطنية !!

« اما المسؤول الحقيقي عن هذه الدماء المسفوكة في عنبتا وتل ابيب وملبس ويافا وغيرها فليسوا هم اليهود كما قد يقول لكم بعض رؤساء الاحزاب .... انما المسؤول هو دولة بريطانيا التي .... تساعد على افناء عروبة البلاد .... ووهبت بلادنا لغير اصحابها وجعلت نفسها آلة بيد اليهود .

« واذا قلنا بريطانيا فجنابكم ممثلها في هذه البلاد ، وجنابكم الذي تشرف على سنّ القوانين وجنابكم الذي تعطي رخص المهاجرة وجنابكم الذي تقدر قوة استيعاب البلاد فجنابكم اذن المسؤول الاعظم عن

التذمر ....

« ولا يكون حقن الدماء بتضخيم موازنة البوليس وتكثيف الجيش ، والصرامة في العقوبة ، والشدة في المراقبة فهذه قد تنجح لو كانت اسباب الحوادث لا تعدو فسادا في الخلق .... ولكن كيف يمكن ان تنجح والعلة يأس من الانصاف ، واليأس يجعل الموت سائغا لليائسين ! انكم .... مهما بلغت قوتكم لن تستطيعوا ان تمنعوا الذي يؤثر الموت على الذل من الترحيب بالموت والسعي له .

« .... فان شئتم علاجا لليأس فبانصاف عملي جدي صادق صريح سريع ابسط مظاهره وقف الهجرة اليهودية الجارفة الدافقة ! ولن تخدر النفوس اليائسة المضطربة بعثات حكومة تذهب الى لندن ، ووعودكم بمجالس زائفة ، ومفاوضات وتقارير ولجان ، ومشاريع قوانين ستظل مشاريع الى ان يشاء الله . ووظائف ومرتبات ، فالخطب جلل ومصيبة الامة بالانتداب الانكليزي جسيمة . »

في طريق عودتي الى البيت استوقفني الكثيرون وهم يتساءلون : الى مَ الصبر ؟ والشائعات ان اليهود هجموا من تل ابيب على اخواننا في يافا ، وان كثيرين سقطوا قتلى وجرحى . وكانت احداث سورية تثير في خاطري : ان سورية اضربت خمسين يوما حملت الفرنسيين على مراضاتها ، وجعلتهم يجنحون الى مفاوضة الكتلة الوطنية لعقد معاهدة استقلال . فلمَ لا نقتدي بسورية ؟ والفرنسيون اقل مرونة من الانكليز . ووصلت الى البيت وتناولت القلم ورحت اعد بيانا بالمبادئ التي يجب ان تقوم عليها حركتنا الوطنية . وتلفن لي السيد احمد الشكعة من مكتب الصحافة يسألني : « هل علمت ماذا في يافا ؟ هناك مذبحة فماذا فكرت ؟ » فأجبت : « الرأي ان ندعو فورا بعض الاخوان للاجتماع والمذاكرة . » قال : « ارى ان يكون اجتماعا يمثل الوجوه والتجار والشبان ويعقد في ناديكم » ، ويعني نادي الاتحاد الرياضي الذي يديره الاخ ممدوح وهو مقر حركتنا . فقلت : « يجب ان يسبق الاجتماع الكبير في النادي اجتماع مختصر نعقده في (مصبنتك) وانا آت اليك لنتفق على الاجتماعين . » ورن التلفون ثانية ، انه من الاستاذ عوني عبد الهادي يخبرني فيه بأنه وصل الى نابلس وينتظرني في حديقة البلدية . وهرعت الى حديقة البلدية (المنشية) واخبرت عوني بك الذي كان ينتظرني انني على موعد مستعجل للاجتماع في مكتب الصحافة ، فكان حديثنا « تلغرافيا » اتفقنا فيه على ان الحالة في البلاد لا تطاق ولا يصح السكوت والواجب استغلال الحال لحركة وطنية على اسس استقلالية . وتركته لاجد السيد الشكعة وبعض الشباب ينتظرونني ، فاتفقنا على ان يكون الاجتماع التمهيدي عصرا وان يمثل جميع الاتجاهات .

مبادئ الحركة الثورية

وانعقد الاجتماع في المصبنة بعيد العصر ، وقد حضره : سليمان عبد الرزاق طوقان (رئيس البلدية) وغادل زعيتر وعبد اللطيف صلاح وفريد العنبتاوي والدكتور مصطفى بشناق واحمد الشكعة وطاهر المصري والاخوان الشباب : واصف كمال وممدوح السخن وحكمة المصري واكرم زعيتر . وكان يشاهد الاجتماع من دون مشاركة وبالصدفة : حمدي كنعان وعادل الشكعة ومحيي الدين المصري .

افتتحت الاجتماع بالحديث عن هدفه ، وتكلم الشكعة وطوقان وصلاح ، ثم قلت : علينا ان نقرر : إما ان تقتصر مهمتنا على اسعاف اخواننا في يافا ، والاخذ بيدهم في محنتهم ، وفي هذه الحالة

تتركون لنا حرية التصرف في الحركة الوطنية ، وإما ان ننتهز هذه الفرصة السانحة والغليان الهائل فنعمل يدا واحدة وفي صف واحد لهدف واحد هو انقاذ البلاد مما هي فيه ، نعمل بشجاعة واستعداد للتضحية . هذا أوان الجد للانقاذ . ارجو ان نتفق الآن على الغاية من هذا الاجتماع ، وهنا قال الدكتور مصطفى بشناق : من منا يا اخي اكرم يكره ان نعمل للقضية وان نجاهد معا لانقاذ الوطن ؟ قل لنا انت ماذا ترى ؟ ماذا تقترح ؟ فقلت : « قبل ان اقترح شيئا اود ان آخذ موافقتكم على اسس حركتنا الجديدة وقد اعددتها قبل ان اجيء . » فقالوا : هات ما عندك ، وهنا تلوت عليهم ما يلي :

(١) تتولى نابلس قيادة الحركة الوطنية على اساس قومي لا حزبي . والحركة مستقلة في جميع اجراءاتها عن الاحزاب .

(٢) يجب ان توجه القضية توجيها صحيحا اي انه يجب ان تتجه المقاومة ضد الانكليز اولا باعتبارهم اساس البلاء . والمسؤولية في كل ما وقع ويقع ملقاة على عاتقهم ولا يجوز ان تنصرف القضية الى مقاومة الصهيونية وحدها !

(٣) تتولى نابلس حالا وفورا الاتصال بالبلدان الاخرى ، لتوحي هي اليها بما ترى عمله من دون انتظار لموقف الاحزاب .

(٤) لا يجوز ان تهدأ الحركة او ان يدعو احد الى تهدئتها ما لم يتحقق هدف من اهدافها ، اي انه لا يجوز ان توقف الحركة على ايدينا ، معتبرين بالحوادث الماضية . فالوعود الكاذبة ولجان التحقيق وإيفاد الوفود لا تغني عن حل عاجل .

(٥) الهدف العاجل للحركة : وقف الهجرة اليهودية لان استمرارها يؤدي الى جعل كل عربي في البلاد في خطر الوجود .

(٦) الحركة تقوم على التنظيم ، واول بوادر التنظيم تأليف لجنة قومية تعطى « الصلاحية » المطلقة لتنظيم نابلس ولوائها تنظيما محكما بحيث يتجند للعمل كل شيخ وشاب تمكن الافادة منه . وتؤلف في الحين ذاته لجنة احتياطية اخرى لتتسلم مقاليد العمل الوطني على هذه الاسس في حالة القبض على اعضاء اللجنة الاولى او حدوث طارئ يحول دون قيامها بواجبها ، كما يستحسن ان تؤلف لجنة ثالثة لهذا الغرض .

(٧) الحركة يجب ان تنظم ماليا ـ اي تنظيم الجباية والانفاق .

(٨) الحركة تتصل بالقرى اتصالا وثيقا فيشترك الفلاح مع ابن المدينة فيها اشتراكا فعليا .

ناقش المجتمعون هذه المبادئ واستوضحوا عن بعضها ، ثم اقروها كلها . وهنا اقترحت ان نعلن الاضراب العام في نابلس ، وان ندعو سائر مدن فلسطين الى الاضراب حتى تجاب مطالبنا الوطنية ، على ان نجعل البادرة الدالة على حسن نية السلطات ممكنة التطبيق ، وهي وقف الهجرة .

اللجان القومية

ثم قررنا في الاجتماع نفسه ان تتألف لجنة للعمل ، وتناقشنا في اسمها ثم اتفقنا على تسميتها « اللجنة القومية » تتولى : اولا ، الاشراف على سير الحركة الوطنية في المدينة . ثانيا ، الاتصال الفوري بالبلدان